جزيرة التمساح المقدس

محمود سالم

جزيرة التمساح المقدس

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جزيرة التمساح المقدس

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٩٦٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
طائرة كندا!	١١
الروح الشريرة!	١٥
أخبار غامضة!	١٩
لقاء القادة!	٢٣
العملية المستحيلة!	٢٧
الاختطاف عن بُعد!	٣١
استبدال الطائرة!	٣٥
المفاجأة!	٣٩
راجيف باي!	٤٣
عملية ناجحة!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

طائرة كندا!

في صالة المبنى الجديد بمطار القاهرة الجوي ... وقف «أحمد» و«عثمان» ينتظران وصولَ طائرة ضيفهما المستثمر العربي الأصل ... الكندي الجنسية والتي كان مقرَّرًا لها أن تَصِل في تمام الساعة التاسعة مساءً.

ولكن الساعة تجاوزَت الحادية عشرة ولم يَصِل بعد.

وعندما سأل عن سبب تأخيرها، أخبره الموظف المختصُّ بأنَّ المطار لن يستقبلَ أيَّ رحلة من «كندا» اليوم ... واندهش «عثمان» كثيرًا عندما سمع منه هذا الكلام ... وسأله قائلًا: ألم تُخبرني أنه اتصل بك؟

«أحمد»: نعم يا فتى ... وقال لي إنه سيصل في تمام التاسعة في المبنى الجديد.

«عثمان»: أيعني ذلك أن الرحلة قد أُلغيت؟

«أحمد»: لقد خطر لي ذلك، ولكني عرفتُ من الاستعلامات أن رحلة «كندا» ستصل في الحادية عشرة.

عثمان: إذن ... ماذا كان يقصد السيد «زهير» بذلك؟

«أحمد»: لا أدري ... ولكن!

في هذه اللحظة اقترب منهما نفسُ الموظف يسألهما قائلًا: لماذا كل هذه الحيرة؟

أحمد: لقد أخبرني صديقٌ لي أنه سيأتي اليوم من «كندا» في تمام التاسعة.

الموظف: هل قال إنه سيأتي إلى هنا مباشرة؟

نظر له في دهشة وقال: أتقصد أن تكون رحلته؟

الموظف: عن طريق دولة أخرى.

عثمان: ولماذا تقول ذلك؟

الموظف: لأن التاسعة مساءً كان ميعاد رحلة أخرى قادمة من «دبي».

أحمد: أنا أعرف أن له أخًا في «دبي».

عثمان: إذن ... فقد اتضح الأمر.

أحمد: تعني «زهير» وصل «القاهرة» عن طريق «دبي»؟

عثمان: نعم ... دون أن نستقبله.

وابتسم الموظف راضيًا ... لأنه استطاع أن يحلَّ لهم لغزَ رحلة «كندا».

وشكره الصديقان كثيرًا ... وانصرفَا ... يتباحثان فيما سيقومان به من اتصالات للبحث عن «زهير».

وفي طريقهما لمغادرة المطار ... انطلقَا يستقلَّان سيارتهما «اللاندكروزر»، وبكلٍّ منهما ... الكثير من علامات الاستفهام.

وقامَا بالاتصال به في شقته القديمة ... وفي منزل أخته الوحيدة ... فلم يعثرَا له على أثر ... وهنا صاح «عثمان» قائلًا: لماذا لم نسأل عن اسمه في قائمة الركَّاب الذين وصلوا من «دبي»؟

أحمد: إنه أمرٌ يسيرٌ وسنعرفه بالتليفون.

وبعد إجراء عدد من الاتصالات ... تأكَّد ظنهما ... فقد وصل السيد «زهير» إلى «مصر» عن طريق «دبي».

وفي طريق «صلاح سالم» ... والموسيقى تنبعث من جنبات السيارة ... وضوء القمر الفضي يفترش الطريق – تجاذب الصديقان أطرافَ الحديث ... وتذكَّرا للقمر مواقفَ كثيرةً معهما في الصحراء الغربية ... حيث المقر السري الكبير ... ومزرعته الشاسعة الاتساع ... وسماؤه الصافية ... وكم تربَّع فيها القمر ملكًا على عرش لياليه الجميلة.

وتذكَّر أيضًا عندما غاب القمر ... وانتشرَت النجوم في السماء ... وافتُضح أمر جواسيس الفضاء.

إنه صديقنا الذي ننتظر عودته دائمًا بشوق يا «أحمد» ...

أحمد: لقد ذكَّرتني بصديقنا الذي عاد ولم نرَه.

عثمان: تقصد «زهير»؟

أحمد: نعم.

عثمان: هل حضر إلى «مصر» لزيارتك؟

أحمد: بالطبع لا ...

عثمان: وهل تعرف سببَ حضوره؟

أحمد: نعم ... فقد أتى لاستثمار أمواله هنا.

عثمان: في طريق «صلاح سالم»؟

ضحك «أحمد» وهو يقول له: في «مصر» يا ذكي!

عثمان: إن «مصر» واسعة!

أحمد: معك حق ... ولن نَصِل إليه. يجب أن نعرف أين سيُقيم مشروعه.

عثمان: هل أعيَتك الحِيَل ... ولم يَعُد لديك وسيلة أخرى للبحث عنه؟

أحمد: ليس لدينا غيرُ الوسائل التقليدية.

عثمان: تقصد البحث في الفنادق والمساكن الفندقية؟

أحمد: نعم ... إلا إذا ...

عثمان: إلا إذا لم ينزل في أيٍّ منها.

أحمد: وقام باستئجار شقة مفروشة ...

عثمان: سيكون من الصعب الحصول عليها وقتَها ... إلا إذا ...

أحمد: إلا إذا ماذا؟

عثمان: إلا إذا اشترك كلُّ الشياطين في البحث عنه.

أحمد: لا يمكن أن نطلب منهم ذلك ... فلدينا ما هو أهم.

وأثناء دوران السيارة حول صينية ميدان الجيزة ... مالَت لدرجة خطيرة أثارَت دهشة «عثمان» ... فسأل «أحمد» قائلًا: ماذا حدث؟

وبالطبع لم يكن «أحمد» يعلم بما جرى للسيارة ... ولكنه استنتج أن تكون العجلة الأمامية سببَ ما حدث، فردَّ عليه قائلًا: أظنها العجلة الأمامية ...

عثمان: اليسرى طبعًا ...

أحمد: نعم ... نعم ...

عثمان: هل الهواء يتسرَّبُ منها؟

أحمد: منذ فترة ...

عثمان: لو كان الأنبوب مثقوبًا لانفجر ...

أحمد: ليس أمامنا غير التوقُّف والفحص.

وبعيدًا عن زحمة الميدان ... وفي أول شارع الهرم ... توقَّفت السيارة ... ونزل الصديقان يفحصانها.

ولاحظ «أحمد» أنَّ «عثمان» يدور بأُذُنه على العجلة بحثًا عن شيء ما ...

وفجأة توقَّف والتفت إليه قائلًا: إنه صمام التحكُّم في الهواء.

الروح الشريرة!

ما إن فرغ الصديقان من استبدال العجلة المثقوبة بالاحتياطية ... حتى انطلقَت الموسيقى من تليفون «أحمد» المحمول ... وبالنظر إلى شاشته عرَف أن «إلهام» هي التي تطلبه ... وما إن فتح الخط معها حتى قالت له: لقد اتصل بك السيد «زهير».

فقال لها متهللًا: ألم يترك رقم تليفونه أو عنوانه؟

إلهام: لا ... ولكنه سيتصل مرة أخرى.

أحمد: لماذا لم تُعطِه رقم المحمول الخاص بي؟

إلهام: لم يكن لديَّ إذنٌ بذلك ...

أحمد: شكرًا للاتصال.

وقبل أن يُغلق الخط ... قالت له مسرعة: أرجو سرعة الحضور فأنت مطلوب هنا.

أحمد: أنا في الطريق ومعي «عثمان» ... هل هناك جديد؟

إلهام: إنه تقريرٌ عاجل من عميلنا في «الهند» ... رأيت أن أعرضَه عليك أولًا ...

أحمد: ألم تعرضيه على الزملاء بعدُ؟

إلهام: لا ... لم يعرف به أحدٌ حتى الآن ...

أحمد: أهو خطير إلى هذا الحد؟

إلهام: ستعرف عندما تحضر ... أنا في انتظارك.

أحمد: وأنا في الطريق ...

واعتدل خلف عجلة القيادة وأدار محرك السيارة، وبجواره «عثمان» يُغلق الباب المجاور له وهو يسأله قائلًا: السيد «زهير» اتصل، أليس كذلك؟

أحمد: نعم. ولكنه لم يترك رقم تليفونه أو عنوانه.

عثمان: وفيما كان كل هذا الحديث؟

أحمد: في تقرير تريد أن تعرضَه عليَّ ...

عثمان: «إلهام»؟

أحمد: نعم هي ...

وفي شرفة غرفة الطعام ... المطلَّة على بانوراما الأهرامات الرائعة الجمال والبهاء ... جلس «أحمد» يستمع لـ «إلهام» ... وهي تُخبره ما في التقرير قائلة: لقد أتانا من عميل لنا في «الهند» ... أن جماعة من المهووسين عقائديًّا في طريقهم إلى «مصر» ...

فقال «أحمد» مندهشًا: ومَن هم المهووسون عقائديًّا ... وماذا تعنين بذلك؟

إلهام: أقصد المتطرفين في اعتناقهم لمذهب ما أو لديانة أو لفكر.

أحمد: نعم نعم ... إنهم الذين يبالغون كثيرًا في تصديق هذه العقيدة ... وتطبيق تعاليمها بلا عقل أو فهم ...

إلهام: نعم ...

أحمد: ومن أين أتَوا؟

إلهام: من إحدى الجزر بالمحيط الهادي ... ويقطنها جماعةٌ من الهنود ...

أحمد: إذن فهم عبدة البقر؟

إلهام: لا، وليسوا من السيخ.

أحمد: إذن، فهم من أتباع «بوذا» ...

إلهام: ولا أولئك ...

أحمد: إذن فهم إسلاميون أو مسيحيون يعبدون الله.

إلهام: بل كفرة يعبدون تمساحًا!

وهنا صاح «أحمد» مندهشًا ومستنكرًا وهو يقول: عبدة التمساح ... هذا ما لم أسمع عنه من قبل!

إلهام: هذا ما يتكلم عنه التقرير ...

أحمد: وماذا يقول؟

إلهام: يقول إن عبدة التمساح هم جماعة من الهنود ... استوطنَت جنوبَ «الهند» قديمًا ... وكانت نساؤهم يذهبن إلى النهر القريب منهن كل يوم ليغسلن ملابسهن وأوانيهن في أمان ... إلى أن ظهر لهنَّ تمساحٌ ضخم أثار بينهن الرعب ... ولكنهن لم ينقطعن عن الذهاب إلى النهر حتى اختطف من بينهن فتاة صغيرة ... وجرَّها إلى القاع ...

أحمد: ومن يومها قاموا بعبادته.

إلهام: لا ... بل ترصدوا له بالبنادق للانتقام للفتاة ... وظل هذا الحال شهرًا ... ولم يظهر التمساح ...

أحمد: وانقطعن هن في هذه الفترة عن الذهاب إلى النهر؟

إلهام: لا، كنَّ يذهبن في حماية بنادق أزواجهن.

أحمد: وطبعًا عندما اختفى كل هذه المدة ... عادت السكينة إلى قلوبهم؟

إلهام: هذا ما حدث ... وانصرف الرجال إلى أعمالهم واحدًا تلو الآخر ... تاركين النساء على ضفة النهر يُنهين أعمالهنَّ في سلام ...

أحمد: حمدًا لله ...

إلهام: ومرَّ على هذا الحال أسبوع ...

فقاطعها «أحمد» في لهفة وقلق قائلًا: ولماذا أسبوع بالذات؟! هل حدث شيء آخر؟

إلهام: نعم ... فقد اختفى بعدها صبيٌّ في العاشرة من عمره ... ولم يجدوا منه إلا قطعة من قماش سرواله ... تعلَّقت بأحد فروع الأشجار.

أحمد: ولم يرَوا التمساح؟

إلهام: لا ... وانطلقَت إشاعةٌ في القرية أنها روح شريرة ... وعليهم القيام ببعض الطقوس لطردها ...

أحمد: وانقطعن عن الذهاب إلى النهر؟

إلهام: لفترة أيضًا ...

وهنا دخلت عليهما «ريما» واضعة أصبعها السبابة على شفتَيها وقد ضمَّتها ... وهي تقول: هس ... ولمحَتها «إلهام»، فقالت لها: ليس الموضوعُ سرًّا يا «ريما»، إنني أخبرتُ «أحمد» بما في تقرير جزيرة التمساح ...

ريما: نعم أعرف ... وقد وصلتم إلى أنهم انقطعوا لفترة عن النهر بعد اختطاف الصبي ...

أحمد: أهلًا «ريما» ... هل تعرفين بقية الحكاية؟

ريما: نعم ... فقد شاهد أحد أبناء القرية تمساحًا ضخمًا يهاجم هذا التمساح ...

أحمد: وكيف عرفتِ؟

ريما: لقد استلمتُ التقرير مع «إلهام» ...

أحمد: وماذا كان ردُّ فعلهم عن هذا التمساح ...

إلهام: قالوا إنه الروح المقدسة ...

أخبار غامضة!

وافقَت «إلهام» على ما طلبه «أحمد» ... من طرح الموضوع على بقية الشياطين ... في اجتماع اعتيادي؛ فليس هناك ما يدعو لإبقائه سرًّا ...

ومع أنها كانت تُريد إبقاءَه سرًّا إلى أن تكتمل الحكاية ... ويتم التقرير ...

إلا أنها امتثلَت لرأيه ... وأعلنَت الشياطين بميعاد الاجتماع الذي أطلقَت عليه «الاجتماع الحر»؛ ذلك لأنها تركَت للشياطين الحرية في حضوره أو التخلف عنه ...

وفي تمام الثامنة مساءً ... رأست «إلهام» اجتماعًا للشياطين بموافقة «أحمد» ... وحكَت لهم حكاية التمساح المقدَّس ...

وعلَّق «عثمان» قائلًا: أي إنَّ التمساح حصل على اللقب بمجرد أن تعارك مع التمساح القاتل! وكان هذا التعليق هو مدخل «إلهام» لإكمال التقرير ... فردَّت عليه قائلة: ليس هذا فقط ... بل إنه قام بطرده أكثر من مرة أمام الناس ... إلى أن عثروا على جثته في أحد الأيام ... ملقاةً على شاطئ النهر ... وقد تشوَّهت معالمها ... حيث أكل منها التمساح ما أكل ... وتولَّت الأسماك الباقي ...

عثمان: وكيف عرفوا أنه التمساح القاتل؟

إلهام: لم يكن في المنطقة غيره هو والتمساح المقدس؟

ريما: وبهذا اعتبروه البطلَ المنقذ ...

عثمان: أعتقد أنَّ ما حدث بين التمساحَين ... هو صراع على النفوذ ...

إلهام: حتى لو كان ما تقوله صحيحًا ... إلَّا أنَّ ما بدر عن التمساح الآخر جعلهم يقدسونه ...

أحمد: هل ظهرت منه معجزات؟

إلهام: لقد وقع منه ما يُشبه المعجزة ... فهو لم يتعرض لأحد من أهل القرية بسوء ...

وكان ينام على شاطئ النهر الطيني في أمان ... وقد اطمأنوا له ... فصاروا يتحركون حوله بلا خوف ... حتى إنهم أَلِفوه ... وصاروا يُعِدُّون له الطعام ويقدمونه به ... فلم يقترب من طعامهم ولا طيورهم ولا مواشيهم.

وسرَت آهاتُ الإعجاب بذلك المخلوق بين الشياطين ... وصاح «قيس» قائلًا: لهم الحق في أن يحبوه ... ولكن لا يقدسونه ...

أحمد: تعرف يا قيس أن هذه المجتمعات تنتشر فيها عقائدُ وثنية كثيرة؛ كعبادة البقر والبشر ...

عثمان: ولكني حتى الآن لا أرى ما يدفعهم لتقديسه ...

ريما: هذا لأنك لم تستمع إلى الحكاية حتى آخرها ...

أحمد: أَكلٌّ هذا ذكره التقرير؟!

إلهام: لا، إنها مادة علمية أعددناها أنا و«ريما» لاستكمال التقرير ...

قيس: إذن فلنسمع بقيتَها.

عثمان: إنها تُذكِّرك بحواديت ماما زمان ... أليس كذلك؟

إلهام: إن ما حدث كان أغربَ من الحواديت ...

عثمان: كانت أمي تقول ذلك أيضًا ...

وشعر «أحمد» أن «إلهام» بدأَت تتضايق من تعليقات «عثمان»، فقال له: دَعْها تُكمل تقريرَها في هدوء يا «عثمان» ...

إلهام: قد يكون هذا التقرير بدايةً لعملية جديدة ... فأرجو الانتباه جيدًا ...

ونظرَت حولها فوجدت كلَّ الزملاء ينظرون لها في ترقُّب ... انتظارًا لبقية التقرير، فشجَّعها ذلك على أن تستطرد قائلة: لقد بدأ هذا التمساح في مساعدة الصيادين من أهل القرية ... وذلك بمطاردة أفواج الأسماك من وسط النهر إلى شاطئه ... وانتعش حال القرية ... وذاع صيتُها وصيتُ التمساح في القرى المجاورة لها ... وبدأ الناس يتوافدون لرؤية التمساح حاملين الهدايا ...

أحمد: وبالطبع منهم مَن انتقل للإقامة فيها لوفرة الرزق ...

إلهام: هذا ما حدث ... مما أدى لازدحام المكان بصورة أزعجَت التمساح.

قيس: فغادر القرية.

إلهام: نعم ...

وتعالَت صيحاتُ الأسف ... واختلطَت بصوت «عثمان» وهو يسأل قائلًا: ألهذا حضروا إلينا؟

أحمد: تقصد أن التمساح في مياهنا الآن؟

قيس: هذا لا يمكن حدوثه؛ لأنَّ مياه الأنهار مغلقة على القارة التي تجري فيها، فكيف سينتقل من قارة إلى قارة ...

وانزعجَت «ريما» كثيرًا لكثرة مقاطعتهم لـ «إلهام»، وقالت لهم: ستعرفون كلَّ شيء عندما تسمعون بقية الحكاية ...

وتدخَّل «أحمد» قائلًا: أكملي يا «إلهام» ... إنه تقرير شيق للغاية.

إلهام: لقد انتقل التمساح للعيش على ضفاف جزيرة مهجورة ... وطال بحثُ الناس عنه ... إلى أن اكتشفوه بالصدفة ... وانتقلوا للعيش معه على هذه الجزيرة ... وأقاموا له عليها معبدًا.

ريما: ولم تمضِ أشهر معدودات ... إلا وانتشرَت عبادةُ هذا التمساح المقدس بين سكان بعض جزر المحيط الهادي.

عثمان: حتى الآن لم نعرف سببَ حضور هؤلاء المهووسين به إلى «مصر»، وما خطر ذلك.

إلهام: هناك مجموعة من المستثمرين تقوم بإنشاء مشروع لتربية التماسيح ... وفي جزء من بحيرة ناصر للاستفادة من جلودها.

وهنا أخذ «عثمان» نفَسًا عميقًا ... وقال في ارتياح: الآن فهمت ...

وانطلق الشياطين يضحكون ... ومن بين ضحكاته قال له «أحمد»: فهمت ماذا؟

عثمان: لقد عرف أحد المهووسين بعبادة التماسيح بأمر هذا المشروع ... وحضر ومعه آخرون لعرقلة إتمامه ...

إلهام: هذا ما حدث بالضبط ...

قيس: إنها مسألة خطيرة ... معنى ذلك أن هناك بعض المستثمرين في خطر ...

وفي رسغه ... شعر «أحمد» بوخز من ساعته ... فعرف أن رقم «صفر» يطلبه ... لأنه الغائب الوحيد عن المقر ... وبالضغط على زرٍّ أسفل الشاشة ... انطلقَت الحروف تتوالى عليها ...

وما إن تلقَّى الرسالة ... حتى غادر قائمة الاجتماعات وسط دهشة زملائه ... دون أن يتفوَّه بكلمة ... مما أثار حَنَق «ريما» ... فهي لا تحبُّ أن تنتظر كثيرًا لمعرفة الأخبار ... وبالذات الأخبار الغامضة كالتي بحوزة «أحمد».

لقاء القادة!

في سرية شديدة ... خرجَت السيارة الشبح السوداء تحمل «أحمد» في الكنبة الخلفية ... وخلف عجلة القيادة ... جلس أحدُ ضباط حرس المقر مرتديًا بذلة سوداء وقفازًا أسود ... يقودها في مهارة وسرعة على طريق الإسكندرية الصحراوي ...

إلى أن أضاءَت إشارةٌ حمراء على تابلوه السيارة ... إضاءة متقطعة ...

وظهرَت على شاشة ساعة «أحمد» نفسُ الإشارة ... فسأل الضابط قائلًا: ألدينا هنا مقر؟

الضابط: نعم، على بُعد عشرة كيلو مترات ...

أحمد: على الطريق؟

الضابط: لا، بل في عمق الصحراء ...

أحمد: ولماذا لم نعرف من قبلُ ... أَهو جديد؟

الضابط: ليس جديدًا ... ولكنه خاصٌّ باجتماعات قادة الأفرع المختلفة للمنظمة ...

أحمد: ولهذا هو سريٌّ للغاية؟

الضابط: نعم ...

أحمد: حتى على الشياطين الـ «١٣»؟

الضابط: أنا لم أعرف عنه شيئًا إلا منذ أسبوع ... رغم أني أعمل في المنظمة منذ سنوات ...

أحمد: أي أنك كنت تحت الفحص والاختبار كلَّ هذه المدة ...

الضابط: نعم ...

أحمد: وما اسمك؟

الضابط: «أشرف».

أحمد: أهلًا بك ضابط «أشرف».

انحرفَت السيارة في طريق أسفلتي ضيق ... متفرع من الطريق الرئيسي ... ويقطع الصحراء في مسار طويل ... ليس به علامة واحدة ... ولا تنمو على جانبَيه أشجار ولا نباتات.

وبعد أقل من ربع الساعة ... أضاءت الإشارة الحمراء مرة أخرى على تابلوه السيارة ... وفي ساعته إشارات متقطعة ... أخذَت تزداد سرعةُ ترددداتها ... حتى ظهر منحدرٌ في نهاية الطريق ... حمل السيارة إلى كهف مظلم ... لا يظهر منه إلا شريطُ ضوء أزرق أعلى حائطه الأيمن ... انتهى بسهمٍ ملتوٍ مضيء انحرفَت السيارة معه ... لتغرق في فيض من الضوء وسط العديد من السيارات الفارهة والمصفَّحة ...

واستقبلهما ضابطٌ في زيِّه العسكري ... وقام بفتح الباب لـ «أحمد» ... وسار أمامه حتى بلغَا بابًا خشبيًّا ضخمًا ... تتدلَّى على جانبه مطرقة ... قام الضابط بطرقها ... انفتح وظهرَت خلفه قاعةٌ فسيحة يتصدَّرها مكتبٌ يجلس خلفه ضابط، ما إن رآه حتى وقف يُحيِّيه ... ثم طلب رقمًا في تليفونه المحمول وتحدَّث قليلًا ... ثم ضغط زرًّا خفيًّا ... فانفتح الباب المجاور للمكتب ... وأشار له بالدخول ...

وما إن خَطَتْ قدماه فوق أرض الغرفة ... حتى شعر بأنه في مكان مختلف ... فالأرض تمتصُّ وقْعَ خطواته ... والصمت يسكن أرجاءَها فلا يكاد يسمع إلا هسهسة خفيفة للغاية ... تصدر من جماعة من الرجال ... يلتفُّون حول مائدة خشبية مستديرة في نهاية القاعة، وتقترب رءوسهم في انحناءة خفيفة ... مستغرقين في حديث خافت ...

وما إن لمحه أحدهم ... حتى اعتدل الجميع في جلستهم، والتفتوا له مبتسمين في وُدٍّ بالغ، وأشار له كبيرُهم وهو يقول: تفضَّل يا «أحمد» ...

وانشرح صدرُ «أحمد» عندما سمع صوته ... إنه صوت مألوف لأُذُنَيه وقلبه ... وكم حادَثه هذا الرجل تليفونيًّا في المقرِّ الكبير ...

فتقدَّم نحوهم في تأنٍّ وثقة ... واندهش عندما رآهم جميعًا يقفون لتحيته ...

ولم يجد غير مقعد واحد فارغ ... فعرف أنه مُعَدٌّ له ... فجلس والجميع ينظرون إليه ...

ومرة أخرى انشرح صدره عندما سمع صوت رقم «صفر» يقول له: أهلًا بك يا «أحمد» ...

وتلفَّت حوله ... فلم يرَ صاحبَ الصوت ...

فأشار أحدهم إلى شاشة تليفزيونية عملاقة تتصدَّر الجانب الأيمن من القاعة ... فرأى «أحمد» عليها الخطوط البيانية المتراصَّة ... فعرف أن رقم «صفر» يحضر اجتماعهم عن طريق شبكة الإنترنت ... فقال له: أهلًا يا زعيم ...

رقم «صفر»: هل رأيت أحدَ هؤلاء القادة من قبل؟

أحمد: لا ... ولكني سمعت صوت أحدهم أكثر من مرة ... وفي أكثر من مناسبة، وهو صوت مألوف لديَّ ...

رقم «صفر»: كل هؤلاء القادة تحدثوا معك تليفونيًّا ... وصدرَت إليك منهم أوامر مباشرة أثناء سفري ...

أحمد: ولكني أراهم لأول مرة ...

رقم «صفر»: أعرف ما يدور بذهنك ... وسيُبلغك القادة عن سبب الاجتماع بك لأول مرة ... وسأحضر معكم هذا الاجتماع ...

وتحدث القائد العام قائلًا: الأخطار التي تحوط العالم العربي الآن كثيرة ... وأكثر من ذي قبل ... فنحن في تحدٍّ حقيقي مع ثورة العلم ... والتكنولوجيا التي اجتاحَت العالم ... ولم يكن لنا فيها نصيب ... فالعالم العربي الآن يعتمد في وارداته على بيع المواد الأولية ...

أحمد: تقصد البترول؟

القائد: نعم ... وقد جاهدتُ دول العالم كثيرًا ... حتى كادت أن تفقد قيمته. ووجدت الدول البترولية نفسها في مأزق ...

غير أن المنطقة العربية ... تحوي بعضَ بلدان نامية، استطاعت أن تقوِّيَ اقتصادها وتفتح أبواب الاستثمار وتنهض بصناعتها وتخطو خطواتٍ واثقة نحو التقدم ...

وهنا قال أحد القواد مكملًا حديثَ القائد الأعلى: وبالطبع هناك دول من مصلحتها ألَّا يستمرَّ ذلك ... لذلك فقد استعانت بمنظمة عالمية خطيرة لتصدير الجريمة ... لبثِّ عناصر تخريبية داخل هذه المجتمعات النامية لضرب مناخ الاستثمار فيها.

وحتى لا يُفتضحَ أمرُها ... فهي تقوم بدراسات اجتماعية وسياسية مستفيضة للاستفادة من طبيعة البلاد ومعتقدات شعبها وتراثه في تنفيذ عملياتها ...

وهنا رفع «أحمد» يده ... فسمح له القائد بالحديث ... فقال: لقد وصلنا تقريرٌ من عميلنا في «الهند» عن جماعة من هذه الجماعات وصلَت إلى «مصر».

القائد: تقصد جماعة التمساح المقدس؟

أحمد: نعم ...
القائد: إنهم سكان جزيرة تسمَّى بنفس الاسم.
فقال قائد مخابرات المنظمة: إن هذه الجزيرة يحكمها الآن زعيم عصابة «سوبتك».
أحمد: أو «سوبر تكنلوجي».

العملية المستحيلة!

عندما عاد «أحمد» إلى المقر، كان الجميع ينتظرونه في قلق وتوتر ... وكان هو يشعر بذلك ... لذا ... فقد اتصل بهم قبل أن يغادر الجراج ... وطلب منهم التوجُّه إلى غرفة الطعام؛ فهو في غاية الجوع ...

وفي غرفة الطعام اندهشوا عندما وجدوه وقد سبقهم إليها ... وجلس ينتظرهم ...

وأثناء تناولهم الطعام ... حكى لهم عن الاجتماع المهيب الذي حضره، وقال لهم: أنا أشمُّ رائحة عملية جديدة ...

ريما: حماية مشروع مزرعة التماسيح ...

أحمد: لا، بل حماية مستقبل المنطقة العربية كلها ...

عثمان: إذن، فالمواجهة ستتكرر مرة أخرى مع عصابة «سوبتك».

وهنا قطعَت حديثَهم موسيقى تليفونه المحمول ... وبالنظر إلى شاشته ... عرف أن صديقه السيد «زهير» يطلب ... وبعد أن أنهى المكالمة ... أخبرهم أن الأوامر صدرَت بمهاجمة قلب الأحداث ...

فقال له «عثمان» مستفسرًا: ماذا تقصد بقلب الأحداث؟

إلهام: هل تقصد السفر إلى جزيرة التمساح المقدس؟

أحمد: نعم ...

ريما: وما الهدف من العملية؟

أحمد: إسقاط نظام الحكم ...

عثمان: أتقصد عصابة «سوبتك»؟

أحمد: نعم ...

ولفَّ الوجومُ القاعةَ بكل ما فيها ... فالعملية ليست صغيرة ... ونجاحها ليس مضمونًا. وقطع «قيس» الصمت قائلًا لـ «أحمد»: ألَا ترى أن هذه العملية أكبر من إمكانياتنا؟

أحمد: ليس المهم ما نراه ... المهم ما تراه القيادة ...

إلهام: طبعًا فهم أكثر منَّا دراية بمدى قوة العدو بالقياس لقوتنا.

عثمان: ولكننا أكثر علمًا منهم بمدى قوتنا وإمكانياتنا.

إلهام: لن نترك الأمرَ يمرُّ دون مناقشة رقم «صفر».

وكعادته دائمًا ... عندما يحتاجه الشياطين ... فإنه لا ينتظر اتصالهم به.

بل يقوم هو بالاتصال بهم ... وكأنه يسمعهم ...

وشعر «أحمد» بوخز رُسْغه، فقال لزملائه: رقم «صفر» يطلبني.

وهلَّل الشياطين مندهشين، في الوقت الذي ضغط فيه «أحمد» زرًّا بأسفل الشاشة ... فاستقبل رسالة رقم «صفر»، وكانت تقول: «استعدوا الآن لعقد اجتماع عبر الشبكة.»

وعندما نُقل الأمر للشياطين ... هرعوا إلى قاعة الكمبيوتر وكلهم شغف لمعرفة رأي رقم «صفر» في العملية الأخيرة.

وخلف أجهزة الكمبيوتر جلس الشياطين ... وقد أداروها وأدخلوها على الشبكة في انتظار اتصال رقم «صفر».

ولم يَطُلِ انتظارهم طويلًا ... فقد ظهرَت دائرة حمراء أعلى يمين شاشاتهم ... وعلا صوتُ صفارة متقطعة ... ثم ملأ اللون الأزرق كلَّ مساحة الشاشة ...

وفي مركزها ظهر شعار الشياطين صغيرًا ... ثم أخذ ينمو إلى أن ملأ الشاشةَ كلَّها ... ثم اختفى مرة أخرى ... وظهرَت بدلًا منه خطوط بيانية متراصة ... وسمعوا صوتَ رقم «صفر» يقول لهم: مساء الخير ...

لقد علمت بقرار المنظمة أن تقوموا بتغيير نظام الحكم في جزيرة التمساح ... والقرار تحت يدي الآن لدراسته ...

ورأيت أن أناقشَه معكم أولًا ...

أحمد: أي إنه ليس قرارًا نهائيًّا حتى الآن؟

رقم «صفر»: المفروض أنه قرار نهائي.

ولكن إذا كان لنا اعتراض ما ... فمن حقِّنا إبداؤه مع توضيح الأسباب.

إلهام: وهل ترى أن المهمة تُناسبنا؟

رقم «صفر»: أنا أرى أنها تناسبكم أنتم بالذات.

ريما: لماذا يا زعيم؟

رقم «صفر»: لأنكم واجهتم عصابة «سوبتك» أكثر من مرة ... وتعرفون أساليبهم. ولا تنسَوا أنكم انتصرتم عليهم.

عثمان: ولكن الأمر هذه المرة مختلف ...

رقم «صفر»: لماذا ... لأنهم هذه المرة يحكمون شعبًا؟

عثمان: نعم ... وسنواجههم وسط شعبهم وشُرطتهم وجيشهم.

رقم «صفر»: ليس كلُّ الشعب يحبُّهم ... وسنعتمد في خطتنا للإطاحة بهم على ذلك.

إلهام: أتقصد أن هناك متمرِّدين على الحكم؟

رقم «صفر»: نعم ... ومن الهنود أيضًا.

أحمد: من عَبدة التمساح المقدس؟

رقم «صفر»: من عَبدة البقر ... وهم يرون أن عبادة التمساح خروج على ديانتهم، وقد قاموا بتحريض الأهالي ضد جماعة «سوبتك» الحاكمة؛ لأنها تزيِّن للناس هناك عبادة التمساح المقدس.

شعر الشياطين بكثير من الارتياح، فوجود هؤلاء المتمردين سيجعل المواجهة أسهل ... لأنها ستكون مع أفراد العصابة فقط ... وسيتركون الشعب ... للمتمردين. وعلَّق رقم «صفر» على صحتهم قائلًا: أشعر ببعض الرضا قد تسلَّل إلى نفوسكم!

قيس: نعم يا زعيم ... فالعملية هكذا تصير معقولة ...

رقم «صفر»: إن القيادة العامة لم تكلفكم بالمهمة ... إلا بعد دراسة وافية ...

أحمد: نحن في انتظار الأوامر للتحرُّك يا زعيم.

رقم «صفر»: «أحمد»، و«عثمان» و«إلهام» و«ريما» يُعدُّون أنفسهم للسفر.

ستُقلع بكم طائرة خاصة في الصباح الباكر من مطار القاهرة الدولي ...

عليكم أن تتواجدوا في المطار قبل السادسة ...

ملف العملية كبير، فاقرءوه في الطائرة ... شكرًا لكم ... وفَّقكم الله!

وما إن أنهى رقم «صفر» حديثه ... واختفت الخطوط البيانية من على شاشة الكمبيوتر حتى تسرَّبت اليقظة والتوتر والترقُّب إلى مشاعر وعقول الشياطين جميعًا ... المسافرين للمهمة ... وغير المسافرين ...

وانسحبَت الفرقة المسافرة من القاعة تباعًا ... وتسلَّلوا إلى أجنحتهم يعدُّون أنفسهم للنوم مبكرًا ... بالحمام الدافئ والقراءات الخفيفة ... فغدًا سيُصبحون مبكِّرين.

الاختطاف عن بُعد!

وقبل أن تغفوَ عيناه ... شرد «أحمد» فيما سيقومان به. وتخيَّل لو أنَّ عملية إسقاط النظام هذه قد نجحت ... وأدَّت إلى أن يطلب سكان الجزيرة منه أن يتولَّى حكمهم ... ورأى صورته وقد طُبعت فوق عملةِ الجزيرة الورقية ... وابتسم آخر ابتسامة قبل أن يحملَه زورقُ النوم إلى عمق بحار الأحلام.

وخيَّم الصمت على المقر ... فلم يَعُد مستيقظًا إلا أجهزة المراقبة ... والضباط العاملون عليها. وفي الخامسة صباحًا ... وقبل أن يُوقظهم العاملون بالمقر ...

أيقظَتهم حاستُهم السادسة ...

وفي أقل من عشر دقائق ... كانت «اللاندكروزر» تودِّع المقرَّ السريَّ بالرماية، وتنطلق عبر الطريق الدائري إلى مطار القاهرة ...

ولم تستغرق إجراءاتُ مغادرتهم «مصر» سوى دقائق ... فقد كان في انتظارهم مندوب من المنظمة ... اصطحبهم في كلِّ خطواتهم ولم يتركهم إلا عند سُلَّم الطائرة ... وقد كانت محركاتُها تُزمجر استعدادًا للتحرك ...

وما إن أغلقَت أبوابها ... وربط الشياطين أحزمتَهم ... حتى انطلقَت تقطع أرض المطار في سرعة متزايدة إلى أن مالَت مقدمتُها لأعلى ... ارتفعَت في الهواء ... ولم تَعُد عجلاتها تلمس أرض المطار ...

وفي زاوية حادة واصلَت الطائرة صعودها ... إلى أن بلغَت جبال الثلج البيضاء كما تخيَّلها الشياطين ... واخترقتها ... ثم عادَت للاعتدال تدريجيًّا ... حتى استوت فوق السحاب.

والشياطين يتابعون كلَّ ذلك من خلال النوافذ الزجاجية المستديرة ... التي تجاور مقاعدهم، ويشعرون بلذة لم يفقدوها مع أنها تكررت كثيرًا مع كثرة أسفارهم ...

وأخيرًا، سمح لهم قائد الطائرة ... بأن يفكوا الأحزمة ... وأحضرت لهم مضيفةٌ حسناء الإفطار وبعض المشروبات الساخنة ...

وحتى الآن لم يظهر ملف العملية ... رغم مرور أكثر من نصف الساعة على مغادرة أرض المطار.

ونظر الشياطين إلى بعضهم يتساءلون! وشعرت المضيفة بما انتابهم من حيرة، فقالت لهم: نحن في غاية الأسف ... فالطائرة مختطَفة ...

نزل الخبر كالصاعقة على الشياطين ... إلَّا أنهم احتفظوا بهدوئهم ... وتركوا لـ «أحمد» إدارة دفَّة الحوار مع المضيفة ... التي لم تتركهم كثيرًا نهبًا للقلق والحيرة ... بل قطعَت عليهم صمتهم قائلةً: أنا «عزة»، عضوة بالمنظمة ... وأعمل كمضيفة طيران على الطائرات الخاصة بالمنظمة.

ارتسمَت الدهشة على وجوه الشياطين، فكيف تركها المختطفون تتحرك بحرية بينهم؟! وقد قرأت بفطنتها هذا التساؤل في عيونهم، فأجابتهم قائلة: إن قائد الطائرة أيضًا عضو بالمنظمة! وهنا لم يُطِق «أحمد» صبرًا، فاندفع يسأل قائلًا: ومَن الذي اختطف الطائرة إذن؟

المضيفة: لا يوجد أحد من المختطِفين معنا على الطائرة.

إلهام: وكيف نكون مختطَفين إذن؟

عثمان: هل وقعتم عند اختطاف عصابة ما؟

ورغمًا عنها ابتسمَت «ريما» ... وأكمل «عثمان» دعاباته قائلًا: أم أنَّ بينكم وبينهم كلمةَ شرف ... واتفاقًا على أن توصلوا لهم الطائرة إلى المكان الذي يرغبونه؟

ورأى «أحمد» أن الوقت غير مناسب لمزيد من السخرية، فقال للمضيفة: هل هو اختطاف عن بُعد؟

المضيفة: نعم ...

أحمد: وكيف حدث ذلك؟

المضيفة: لقد قاموا بالشوشرة على كل أجهزة الملاحة الجوية الخاصة بالطائرة ... والتي تساعد قائدها على تحديد موقعه واتجاهه.

أحمد: وبهذا أصبح تحديد موقع هبوط الطائرة في أيديهم هم ...

إلهام: بالطبع ... وإلا تركوها تائهةً في الجو حتى ينفد وقودُ الطائرة ... وتسقط بنا ...

أحمد: ألم تعرفوا المختطِف؟

المضيفة: حتى الآن لا ...

عثمان: ألم تكن له طلبات ما؟

المضيفة: تستطيعون معرفة ذلك من الكابتن.

وتركتهم المضيفة ... وغابت عنهم لدقائق ثم عادَت تقول لـ «أحمد»: الكابتن يطلبك.

وإلى كابينة قيادة الطائرة ... ذهب «أحمد» في صحبة المضيفة ... التي فتحت له بابها وانتظرَت حتى عبره ... ثم أغلقَته خلفه لتتركهما وحدهما كما أمرها ...

ومرَّ أكثرُ من الساعة والشياطين في انتظار ما سيُسفر عنه اجتماع «أحمد» وقائد الطائرة.

وبدلًا من أن يأتيَهم بالجديد من الأخبار، أرسلَت لهم المضيفة ... تطلب منهم الحضور إلى كابينة القيادة ...

وتم عقدُ اجتماع عاجل بينهم. وضع فيه «أحمد» كلَّ إمكانيات المجموعة أمام الكابتن، وطلب منه أن يُقرَّ ما يمكن عمله.

وعن طريق ساعات أيديهم، قاموا بالاتصال برقم «صفر»، وشرحوا له موقفهم، فطلب منهم عدمَ قطع الاتصال ... وطلب من المقرِّ تتبُّع إشارات ساعاتهم حتى تم رصدها ... وتحدد موقع الطائرة.

ثم تحدَّث إلى قائدها قائلًا له: سوف نساعدكم على النزول في أقرب مطار لكم ...

القائد: وكيف سيتم ذلك؟

رقم «صفر»: دَعنا نقوم بإرشادك بطريقتنا الخاصة ...

القائد: ومن الذي سيُبلغني بهذه الإرشادات؟

رقم «صفر»: سيقوم بذلك أحدُ أفراد الفريق الموجودين معك ...

وعلى شاشة ساعته ... رأى «أحمد» خطَّين متعامدَين على بعضهما ... ونقطة حمراء ... تتحرك في مجالها.

وعن طريقهما ... عدَّل القائد مسار الطائرة ... وأكمل الرحلة بناءً على توجيهات «أحمد» ... حتى أصبحوا في مجال أحد المطارات السرية الخاصة بالمنظمة ... فصدرت لهم الأوامر بالهبوط ...

وقد كان هبوطًا يسيرًا ... شعر معه كلُّ الموجودين بالطائرة بزهو الانتصار على أخطر عصابات القرن ...

وعلَّق قائد الطائرة على ذلك قائلًا: إنها مواجهة العلم بالعلم.

استبدال الطائرة!

وعلى أرض المطار كانت تقف طائرة أخرى ... تستعد للإقلاع ... وظنوا أنهم سينتقلون من طائرتهم إلى هذه الطائرة ...

إلَّا أنَّ سيارة جيب حضرَت إليهم ... وبها ضابطان، طلبَا منهم الذهاب معهما لمقابلة قائد المنطقة ...

وفي ميناء ملحق بالمطار ... استقبلهم بعضُ أعضاء المنظمة، وأخبروهم أنَّ طائرة أخرى ستتحرك بهم، ولكن إلى «الهند» ... وليس إلى جزيرة التمساح كما كان مقررًا من قبل.

وظنَّ «أحمد» أن العملية أُلغيت ... فسألهم قائلًا: وهل ستبدأ العملية من «الهند»... أم أنها أُلغيت؟

فأجابه قائد المنطقة قائلًا: لا، العملية لم تُلْغَ حتى الآن ... إلا إذا كان لكم رأيٌ آخر.

أحمد: ليس لنا رأيٌ غيره ... فقد خرجنا من «مصر» لإتمام المهمة ... ولن نعود دون إتمامها ...

القائد: أمر جيد ... ولكنَّ هذا الجزء من العملية ... سنكتفي فيه بدخولكم إلى جزيرة التمساح ... فهذا وحده يعتبر إنجازًا.

أحمد: هل هذه أوامر قائد المنظمة؟

قائد المنطقة: طبعًا.

أحمد: ومتى سنبدأ التحرُّك؟

قائد المنطقة: الآن. وهناك طائرة تستعد للإقلاع في انتظاركم.

أحمد: شكرًا لك أيها القائد.

وقام القائد بتحية بقية المجموعة ... قبل أن تحملَهم السيارة الجيب المكشوفة إلى أرض المطار مرة أخرى ... حيث كانت الطائرة قد أكملت استعدادها للإقلاع.

وتوقَّفت السيارة الجيب بجوار سُلَّمها ... وانتقل الشياطين من السيارة إليها ... وصفَّرت محركاتُها ... وارتفع طنينُ مراوحها ... وما إن أغلق بابها حتى قلَّ ضجيج محركها بدرجة كبيرة.

وأتاهم صوتُ قائدهم يرحب بهم ... ويتمنَّى لهم رحلة سعيدة ... ويطلب منهم ربط الأحزمة ...

وانطلقَت الطائرة تجري على الممر في سرعة شديدة، ثم انحنَت لأعلى ... وارتفعَت في الهواء كالصاروخ.

واقتربَت المضيفة من «أحمد»، وقالت له: الكابتن يطلبك.

وابتسم «عثمان»، وقال: لقد أصبحت جملة الكابتن يطلبك تعني أنَّ هناك مشاكل.

ريما: هذا إذا قيلت لـ «أحمد».

ونظر لهما «أحمد» وقال: الحمد لله أنَّ الكابتن لا يطلبك أنت.

وأثارَت كلماتُه أعصابَ «عثمان»، فقال له في عصبية: ماذا تعني؟

ولم ينتظر لكي يُجيبَه، بل قام وانصرف مع المضيفة إلى أن وصل إلى كابينة القيادة، ففتحت له ... وتركته يدخل ... وصوت قائد الطائرة يصلها طالبًا شايًا لكلٍّ منهما. وما إن أغلقَت باب الكابينة، حتى قال القائد: «أحمد» ... نحن لن نذهب إلى «الهند».

فسأله «أحمد» مندهشًا: هل هو اختطاف آخر؟

القائد: لا، بل أوامر.

أحمد: لقد أخبرني قائد المطار السري بغير ذلك.

القائد: إنها الأوامر.

أحمد: وإلى أين سنذهب إذن؟

القائد: سيتم إنزالكم على يختٍ خاصٍّ بالمنظمة.

أحمد: وأين يقف هذا اليخت؟

القائد: بالقرب من جزيرة التمساح المقدس.

ابتهج «أحمد» لسماع هذا الخبر ... فهو يفضِّل الوصول إلى قلب الأحداث مباشرة، ونظر إليه القائد مليًّا، وقال له: قلبي معكم؛ فالمهمة خطيرة.

أحمد: هل تعرفها؟

القائد: لا ... ولكن هذه السرية تعني أن المهمةَ خطيرة ... والمكان الذي سيتم إنزالكم فيه خطيرٌ ... ألَا يعني ذلك أن المهمة خطيرة؟

أحمد: معك حقٌّ ... وهل اقتربنا من الجزيرة؟

القائد: أمامنا أكثر من خمس ساعات حتى نَصِل إليها.

أحمد: أليس لديك أوراق لنا؟

القائد: لا، ولكن لديَّ أسطوانة كمبيوتر، وستحصلون عليها أثناء إنزالكم على اليخت.

أحمد: وأين الكمبيوتر ... هل هو موجود على اليخت أيضًا.

القائد: لا ... بل هنا، وستحصل عليه مع الأسطوانة.

أحمد: هل هو صغير الحجم؟

القائد: جدًّا ...

اكتفى «أحمد» بما دار بينه وبين الكابتن ... وطلب منه مغادرة كابينة القيادة، وعاد إلى زملائه يحكي لهم عن الجديد في المهمة.

ومرَّت الساعات الخمس في مداولات ومشاورات بين «أحمد» وزملائه ... إلى أن أرسل قائد الطائرة يطلبه.

وما إن شعر به داخل الكابينة حتى قال له: ها هي الجزيرة.

وعن بُعد شاهد نقطةً صفراء تقع وسط خضمٍّ من المياه ... فسأله قائلًا: وأين اليخت؟

القائد: سنقوم بالاتصال به.

أحمد: وأين يختفي، وأنا لا أرى تحتي إلا المحيط؟

القائد: إننا نحارب أخطر العقول العلمية.

أحمد: تقصد أن هناك مفاجآت؟

القائد: نعم.

أحمد: وهل نستعد الآن للهبوط؟

القائد: نعم.

أحمد: وهل الطائرة مجهَّزة للهبوط في الماء.

القائد: لا ...

المفاجأة!

أنهى الشياطين استعدادهم لمغادرة الطائرة ... وأصبحت جزيرة التمساح على مرمى بصرهم ... ولم يظهر حتى ما يدلُّ على وجود اليخت.

وبدأت مشاعر القلق والتوتر تتسرَّب إليهم ... ممَّا دفع «أحمد» للتدخُّل لدى قائد الطائرة ... وقال له معاتبًا: هل الأوامر صدرَت إليك بتعذيبنا هكذا؟!

وشعر القائد بالقلق وسأله قائلًا: لماذا تقول ذلك يا سيد «أحمد»؟

أحمد: إننا نستعد لمغادرة الطائرة ... وحتى الآن لا نعرف كيف وإلى أين؟

القائد: ألم أُخبرك؟

أحمد: أخبرتني بماذا؟!

لقد سألتك عن اليخت وأين يختبئ ... فقلت لي: إنها مفاجأة ... ولا يوجد في عملنا ما يسمَّى بالمفاجآت؟

القائد: اليخت هنا يا سيد «أحمد».

وبُهِتَ «أحمد» حين سمع هذا الكلام، وسأله قائلًا: هنا أين أيها القائد؟

القائد: على الطائرة ... وسيتم إنزاله في المكان المحدد من قِبل المنظمة.

وبعيدًا عن الجزيرة بأكثر من عشرين كيلومترًا ... حلَّقت الطائرة ... في انتظار تجهيز اليخت لإنزاله.

وما إن أبلغ القائد بأن اليخت جاهز للهبوط ... حتى حلَّقت الطائرة عموديًّا على مكان الإنزال.

وفي مشهد مثير ... تدلَّت أربعة حبال تحمل اليخت في بطء شديد حتى بلغ الماء ... فانسلتَت عنه الحبال ... وعادت إلى الطائرة ... ليُثبتَها أعضاءُ فريق الشياطين في أحزمتهم ويهبطوا متعلقين بها إلى أن وصلوا إلى سطح اليخت.

ففصلوها عن الأحزمة ... وطارت الطائرة مغادِرةً موقع الإنزال ... حتى لا تلفت نظر مَن بالجزيرة إليها ...

وهكذا ... أصبح الشياطين وحدهم في عرض المحيط الهادي على ظهر يخت ... لا يعرفون عنه شيئًا ... وليست لديهم معلومات كافية عن العملية ... ولا كيف سيبدءونها ... ولا من أين؟

ورغم أنَّ هذه التساؤلات كانت تدور في رأس كل الشياطين ... إلا أن «عثمان» كان أولَ المصرحين بها حين قال: أين ملف العملية يا «أحمد»؟

أحمد: لقد وعدني قائد الطائرة أن أحصل عليه أثناء إنزال اليخت.

إلهام: وطار دون أن يعطيَها لك!

ريما: هل قال لك أثناء إنزال اليخت أم مع إنزال اليخت؟

عثمان: يااه يا «ريما»، أعتقد أنه قال: أثناء إنزال اليخت.

ريما: فالملف معنا على اليخت.

إلهام: أنا أصدِّق كلامها ... ولا تنسَوا أن العملية من إعداد المنظمة!

أحمد: تقصدين أنه لا مجال للسهو فيها؟

إلهام: نعم.

وأثناء انشغالهم بالحديث ... كانت «ريما» قد حصلَت على الديسك وعلى الكمبيوتر الصغير جدًّا ...

وفي الغرفة الرئيسية في اليخت ... جلس الأربعة، وقد وضعوا الديسك في الكمبيوتر الصغير ... وانتبهوا لكل ما يقال عن الجزيرة ... وعصابة «سوبتك» وقفزهم على الحكم فيها ... والخلافات المشتعلة بين أعضاء القبيلة الواحدة من الهنود ساكني الجزيرة بسبب بُعدهم عن عقيدة أجدادهم ... واستبدال البقرة المقدسة بالتمساح المقدس.

وقد طلبت المنظمة من «أحمد» أن يحاول الاتصال بقطب من أقطاب عابدي البقر الهنود، والاتفاق معه على تكوين جماعات معارضة الحكم داخل الجزيرة ... وحدَّدوا له موقعًا قريبًا من جزيرة التمساح المقدس ... توجد به جزيرة صغيرة للغاية ... عبارة عن كتلة صخرية ضخمة ... يمارس فيها هذا الرجل طقوسًا خاصة به وبديانته ...

في صباح يوم السبت من كل أسبوع ... وقد أطلق عليها اسم الصخرة المقدسة ... وهنا قال «أحمد»: سنكتفي الآن بهذا القدر من المعلومات ... حتى نَصِل إلى هذه الصخرة ...

عثمان: أتريد تنفيذ العملية خطوة خطوة؟

أحمد: ألا ترون أنَّ هذا أفضل؟

إلهام: نعم ...

ورأت «ريما» أن تُدليَ برأيها، فقالت: وأنا معك في أنَّ ذلك أفضل ... ولكن ألا تشعر بالجوع؟

وسبقه «عثمان» في الإجابة قائلًا: وأي جوع وسط هذه المياه ... وهذا الهواء الطلق.

إلهام: من المؤكَّد أنَّ اليخت مجهَّز ... وسنجد به ثلاجة.

ولم ينتظر «عثمان» أكثر من ذلك ... بل أسرع يفحص أركان اليخت ... حتى وصل إلى ثلاجته ... وقد هاله أن وجدها عامرة بكل ما يُعينهم على إتمام مهمتهم.

وغير ذلك وجدوا معدات لصيد الأسماك ... فأخفاها حتى لا تراها «ريما» ... وتطلب منهم أن يصطادوا لها سمكًا طازجًا.

وأثناء إعدادهم الطعام ... انشغل «أحمد» بالبحث عن الصخرة المقدسة ... وفي رأسه يدور الكثير من الأفكار ...

فها هي المنظمة قد جهَّزت له العدَّة والعتاد ... وزوَّدَته بخريطة الموقع ... ورسمَت له أول خطوط العملية ... وعليه الآن أن يستفيدَ من كل ذلك.

وقطعَت عليه «ريما» صمْتَه قائلةً: إلى أين وصلت؟

أحمد: إلى الصخرة المقدسة.

ريما: ما رأيك أن نستفيد منها كقلعة حربية؟

أحمد: إنك قائد عسكري ماهر.

ونادَتهم «إلهام» لكي يتناولوا غَداءهم ... واجتمع الأربعة حول مائدة مستديرة فوق سطح اليخت ... وانكشفَت حولهم مساحةٌ هائلة من المحيط ... وأصبحت جزيرة التمساح المقدس على مرمى بصرهم.

وعلى بُعد أميال منها صخرة تبدو كجزع شجرة صغيرة فوق الماء ...

واستخدم «عثمان» منظارَه في كشف هُويتها، وغمغم قائلًا: إنها الصخرة المقدسة ...

أحمد: ولماذا تُجزم بذلك؟

عثمان: ليس في المكان غيرها.

راجيف باي!

تأكَّد إحساس «عثمان» عندما اقتربوا من الصخرة ... ووجدوها مطابقة لكلِّ الأوصاف الموجودة في التقرير.

وكانت سعادة «ريما» غامرة ... عندما وجدت فيها الكثير من مواصفات القلعة العسكرية رغم أن بها كهفًا يصلح للمبيت ... إلا أنهم فضَّلوا المبيت على ظهر اليخت، أو في إحدى غُرَفه ... حتى يقابلوا «راجيف باي»؛ الرجل الذي تحدَّث عنه التقرير ... إنه العابد الذي يمارس صلواته على ظهر هذه الصخرة صباح كل سبت ... وكان من حسن طالعهم ... أنهم سيقابلونه في صباح اليوم التالي ... لأنهم وصلوا يوم الجمعة.

إلا أن «أحمد» لم يقتنع بأنه حُسن طالع ... بل رأى بأنه حُسن تخطيط وتدبير من المنظمة ... ولم يكن ليلُ المحيط كنهاره ... فقد علا الموج ... وتكثَّفت السحب في السماء ... واشتدَّت الريح ... مما أشعر الفريق بالبرد ... فاحتموا بإحدى غُرَف اليخت ... يتدبرون أحوالهم على أكواب الشاي الساخن.

والتقطَت أُذُن «عثمان» رغم كلِّ هذا الضجيج خارج قمرتهم ... وقْعَ أقدام على ظهر اليخت، فانتفض واقفًا ... واقترب من زجاج نافذة القمرة في حرص ... وجالَ ببصره فوق سطح اليخت ... فلم يرَ شيئًا ... فقد كان الظلام حالكًا ...

واقتربت رءوس الشياطين من بعضها ... وبعد حديث هامس قصير ... نهضوا وتفرَّقوا كلٌّ واحد في اتجاه.

وعندما وخزَتهم ساعاتُ يدِهم في رسغهم ... انطلقَت في سماء المحيط قذيفةُ ضوء كشفَت سطحَ اليخت ... ورجل يطير من عليه في اتجاه «أحمد»، فتفاداه ... وهبط الرجل على مشط قدمه ... ودار دورة كاملة ... ثم وجَّه له مرة أخرى ضربةً سريعة ... بقدمه الأخرى ... أطاحَت به؛ فسقط فوق ظهر اليخت.

وقبل أن يُفيق «أحمد» من صدمة المفاجأة ... كانت «إلهام» ترقد بجواره.

وقبل أن يَصِل الرجل إلى «عثمان»، كانت الكرة الجهنمية تطير من يده ... فتصدم رأسه وتُحدث فرقعةً شديدة ... فيسقط على أثرها في الماء ... ومن خلفه «عثمان» ... يحاول الإمساك به.

وعلا في صمت الخلاء صوتُ موتور قوي ... يبتعد في سرعة عنهم ... فنظروا جميعًا إلى بعضهم البعض وانطلقوا يضحكون.

وعرفوا من عملية الاختطاف الفاشلة هذه أنَّ أمرهم قد افتُضح في الجزيرة المقدسة، وأنَّ هذا الرجل الهارب هو عضو في عصابة «سوبتك».

وأن هذا الهجوم لن يكون الأخير ... وعليهم أن يأخذوا حذرهم.

ومرَّت الساعات الباقية من الليل دون أن يعكِّر صفوَها شيءٌ ... وكان الشياطين قد تناوبوا فيها حراسة اليخت.

ومع أول خيوط أشعة الشمس ... استيقظوا على صوت قارب يشقُّ الماء في اتجاههم، فجهَّزوا أسلحتهم وانتشروا فوق سطح اليخت يحتمون بسوره.

وينتظرون الهجوم التالي ...

وعلى مقربة منهم ... توقَّف قاربٌ مطاط، به رجلٌ أسمر ذو شعر أسود فاحم ... ظلَّ ينظر لليخت في حيرة ... ثم أدار محركَ القارب مرة أخرى ... وأخذ يدور حول الصخرة المقدسة.

وشعر الشياطين أنه رجلهم «راجيف باي».

فخرج له «أحمد» من مكمنه ... وأشار له بكفِّ يده يُحيِّيه.

فأوقف الرجل محركَ القارب ... ثم رفع يدَه ليردَّ التحية ...

فقال له بإنجليزية واضحة: هل أنت «راجيف باي»؟

باي: نعم ... هل تعرفني؟

أحمد: نعم ... ولكنك لا تعرفني.

باي: حقًّا أنا لا أعرفك ... مَن أنت إذن؟

أحمد: هل يمكنني استضافتك قليلًا على ظهر يختي؟

باي: ولكني لا أعرف مَن أنت وماذا تريد؟

أحمد: نحن سائحون.

باي: لا يأتي إلى هذا المكان سائحون ... فمَن أنتم إذن؟

أحمد: لن أستطيع إخبارك في جملة واحدة؟

ظهر على «باي» القلق ... وخاف «أحمد» أن يسبِّب ذلك مزيدًا من المشاكل ... فقال له: هل أنزل أنا إليك؟

باي: أفضِّل هذا.

وقبل أن ينزل سلالم اليخت ... كان «باي» قد غيَّر رأيه ... وعزم على الصعود إليه ... وصاح قائلًا: لا تنزل يا سيد ...

ما اسمك؟

أحمد: اسمي «أحمد» ...

باي: أنا قادم إليك يا سيد «أحمد».

وعلى ظهر اليخت ... اجتمع «أحمد» وزملاؤه و«باي» ... وشرح له سببَ مجيئهم إلى هذا المكان ... وقد كانت سعادة «باي» كبيرة بما قاله ... وسأله في دهشة قائلًا: أحضرتم من الشرق الأوسط لإنقاذ عقيدتنا؟

أحمد: لا، بل حضرنا لإنقاذ مسيرتنا ... فكما قلت لك إنَّ مَن يحكمون جزيرة التمساح هم عصابة لنا معهم ثأر ... ولهم عندنا مطامع كثيرة.

باي: لا يهم الدافع ... المهم الهدف ...

أحمد: وهدفنا واحد.

باي: وماذا تطلب مني الآن؟

أحمد: أن تجمع أكبر عدد من المعارضين لنظام الحكم في الجزيرة ...

باي: إنه أمر سهل ... ولكنه يحتاج إلى أموال كثيرة ...

أحمد: سنزوِّدكم بكل ما تحتاجون إليه ...

باي: ومتى يجب أن نتحرَّك؟

أحمد: من الآن.

باي: وصلواتي؟

أحمد: إن الجهاد من أجل المعبود عبادة.

باي: معك حق.

واقتنع «باي» بكل ما قاله له «أحمد»... وطلب منه الإذن بالانصراف.

إلا أن «إلهام» كانت قد أعدَّت لهم الإفطار.

فجلسوا جميعًا يتناولونه مع الشاي الساخن.

وأحداث ساخنة تنتظرهم مع الساعات القليلة القادمة ...

وما إن فرغ «باي» من إفطاره ... حتى همَّ بمغادرة اليخت.
إلا أنه تراجع فَزِعًا وهو يقول: القوارب تُحيط بنا من كلِّ جانب ...
أنقذوني ... فلي أبناءٌ صغار ينتظرونني ...
وأم عجوز لن تستطيع الحياة من غيري.

عملية ناجحة!

بذلت «إلهام» مجهودًا شاقًّا ... لكي تُعيدَ «باي» إلى هدوئه.

في الوقت الذي عقد فيه «أحمد» اجتماعًا عاجلًا مع «عثمان» و«ريما» ... قرَّر بعده أن يغادروا اليخت خلسةً ... وأن يسبحوا تحت الماء إلى أن يصلوا إلى صخرة «باي».

واحتاج باي لكي ينفِّذ ذلك أيضًا إلى مجهودات جبارة ...

وخاب ظنُّهم في أول مناضل يقابلونه ...

وخيَّروه بين أن يبقى وحده في اليخت فيُقبض عليه ...

أو يفرَّ معهم إلى الصخرة على أن يحموه ... وأخيرًا وافق «باي» ...

وعبرَ بابٍ سريٍّ بغرفة محركات اليخت ... خرج الشياطين ومعهم «باي» إلى الماء، ومع انطلاق دفعة رشاش أوتوماتيكي أحدثَت ضوضاء شديدة في المكان، سبحت المجموعة كلها إلى الصخرة ... دون أن يشعرَ بهم أحد ... وعلَا صوتُ ارتطامِ رصاصات رجال «سوبتك» بجوار اليخت.

فقال لهم «باي»: اليخت سيتحطم!

ريما: لا تشغل بالَك، هناك غيره ...

فنظر لها غير مصدِّق ... والتفت فجأةً ينظر إلى اللنش في دهشة وحيرة ... فقد دارَت محركاتُه ... واندفع كالصاروخ يصطدم بقوارب رجال «سوبتك»، فيدمر بعضها ويقلب بعضها ...

وما نجا منها ... طار فوق الماء هربًا من هذا الإعصار المدمر ...

وفي دائرة واسعة ... استدار عائدًا مرة أخرى ...

ولم يلاحظ «باي» أن «أحمد» كان ممسكًا بجهاز توجيه عن بُعد ... يقود به اليخت.

وانطلق «باي» يضحك في سعادة لما رآه ... وقام «أحمد» بالاتصال برقم «صفر»، وشرح له ما آلَت إليه العملية من القبض على مهاجميه ... ويكون بذلك قد أتمَّ الجزء الأول من العملية بنجاح ...

وانقطع الاتصال بينهم ... وتركه في حيرة ... فمهاجموه قد فرُّوا ...

فكيف سيقبض عليهم؟

وأنهى حيرتَه «راجيف باي» وهو يقول: لقد عادوا.

فوضع منظاره على عينَيه ... فرأى حشدًا آخر من القوارب يحمل الكثير من الرجال المسلحين بالبنادق الرشاشة ... وبينهم رجلٌ يُشير هنا وهناك ... والكل ينظر له في إنصات وخشوع ... فعرف أنه قائدهم ...

وأشار لـ «عثمان» الذي قرَّب أُذُنَه من فمه ... فقال له: أريد هذا الرجل حيًّا ...

فأخذ «عثمان» منه النظارة المكبِّرة ... ونظر إلى حيث يُشير، ثم علَّق قائلًا: سآتيك بهم كلهم أحياء ...

فضحك «أحمد»، وقال: وماذا سأفعل بهم ... أنا أريد هذا الرجل فقط ...

ولم يُكمل «أحمد» كلامه ... فقد انطلقَت الرصاصات من كلِّ مكان حول اليخت والجزيرة ... ومن أسفل اليخت انطلقَت كبسولةٌ تدور حوله في سرعة كبيرة ...

فصنعَت حوله دائرةً واسعة ... ثم انفجرَت انفجارًا مروعًا ...

أطاح بالكثير من القوارب والرجال ...

واشتعلت النيران في الدائرة التي رسمَتها الكبسولة ...

فحاصرَت بداخلها مجموعة كبيرة من الرجال ... ولكن لم يكن بينهم القائد ...

وهربًا من النيران ... سبح الرجال إلى الصخرة ... ثم تسلقوها جميعًا ...

ومن خلفهم وقفَت «ريما» تُشهر بندقيتها ... وتأمرهم بأن يجلسوا القرفصاء ... ويضعوا أيديَهم فوق رءوسهم ... ورآهم قائدهم على هذا الحال ... فرفع يدَيه لأعلى ...

فأشار له «أحمد» بالحضور إليه ...

وتسلَّق الرجل الصخرة ووقف على بُعد أمتار من «أحمد»، وتحدَّث بلغةٍ عرف أنها الهندية ... فطلب من «باي» أن يُترجم له.

وبعد مناقشات كثيرة ... قرر الرجل أن يسلِّم نفسَه على أن يُطلق سراح رجاله ... وتعجَّب «أحمد» لسلكه النبيل ... فسأل عنه «باي»، فقال له: إنه قائد المحاربين في قبيلته ومسئول عن هؤلاء الرجال ...

أحمد: وكيف سخَّرتهم عصابة الحكَّام ليحاربوا لهم؟

باي: قد أقنعوهم بأنكم غزاة ...

أحمد: وهل هناك أمل في أن يفهموا؟

باي: أَشهِرْ في وجهه مسدسك وكأنك ستقتله، ثم اعْفُ عنه.

أحمد: وبذلك أكون قد امتلكت حياته ...

باي: وحياة مَن معه ...

وارتاح «أحمد» كثيرًا لهذه الفكرة ... واستطاع بها أن يكسب في صفِّه الكثيرَ من الرجال ... لكي يستعينَ بهم في إسقاط نظام الحكم في الجزيرة ...

ويقبض على عصابة «سوبتك».

وعندما عرف رقم «صفر» بذلك أثناء اتصاله به ...

حيَّاه بحرارة وطلب منه التقدم ...

وتمنَّى له التوفيق.

هنـــداوي